

إحياء «سكندري» لترات شاعر لبنان جودت حيدر

مذكرات



مصطفى عبد الله

قناصل الدول العربية بالإسكندرية الذين لبوا الدعوة لحضور هذه المناسبة. وعلى الفور تبدأ وقائع تكريم حيدر باستحضار حجازي لجهود اللبنانيين الذين أسهموا مع المصريين في تأسيس النهضة الحديثة في المسرح والسينما والشعر والصحافة في الإسكندرية وربوع مصر: سليم وبشارة تقيلا، خليل مطران، إيليا أبو ماضي، سليم وأمين عطالله.

ثم يشير إلى أيام شوقي ومحمد عبد الوهاب في زحلة، وليالي أم كلثوم في بعلبك، لافتاً إلى أننا نستأنف، اليوم، المسيرة نفسها ونحن نحتفل في إسكندرية سيد درويش، وبيرم، ومحمود سعيد، وسيف وأدهم وانلي بإبداع الشاعر جودت حيدر الذي افتقتن بالبحر، وتوقف طويلاً في قصائده أمام فكرة الزمن، وحقيقة الموت، ولعل هذا ما جعله يتفرغ لسنوات طوال من أي عمل لصالح مشروعه الشعري الذي يستحق منا، اليوم، أن نحياه. ويمكننا أن نخلص من كلمة حجازي إلى أن الزمن عند جودت حيدر هو تجريد للبحر، والبحر تجسيد للزمن.

وفي كلمته يرى الدكتور حسن طلب أن شعر حيدر يستعصي على التصنيف؛ فمن يحاول أن يبحث فيه عن لمسة صوفية في توحده مع الطبيعة يجد، ومن يريد نزعاً رومانسية تدمي العاطفة أمام العقل يجد، ومن يبحث عن نظرات وتأملات فلسفية يجد، وهذا ما جعلنا نصفه بالشعر الإنساني بمعناه الرحب الذي يخاطب النفس أينما كانت.

ثم قدم الحضور وأهل الشاعر تحية واجبة إلى الدكتورة سحر حمودة، مديرة مركز دراسات الإسكندرية وحضارة دول حوض البحر المتوسط، لاهتمامها بترات هذا الشاعر اللبناني الكبير. ♦

شعره مثل حياته، لأنه فضل ألا يبدد وقته في صراعات حزبية أو طائفية لا تفيد إبداعه.

وهنا يقول الدكتور حسن طلب: إنني أراه أقرب إلى أبي العلاء المعري الذي قال: «ولو كنت ملقى بجنب الطريق × لم يلتقط مثلي اللاقطون!» وأراه أبعد ما يكون عن المتنبى وصخبه.

ويضيف حجازي أن جودت حيدر كان يكتب الشعر لنفسه غير مكترث بمتلق، بدليل أنه كتب جل قصائده بالإنجليزية ولم يكتبها بالعربية، أو الفرنسية التي يجيدها أغلب اللبنانيين.

نصل إلى الإسكندرية لنجد في استقبالنا أفراد أسرة جودت حيدر تتقدمهم ابنته «شاهينة» الأمانة على نشر تراثه بعد رحيله، وإلى جانبها شقيقاتها: «سلوى»، «سهام»، «منتهى»، «حنان»، «ريما»، وابتها «لمياء أسعد غسيران» الناشطة الاجتماعية، والفنانة الملحنة والمطربة سحر طه وزوجها التلفزيوني والصحافي اللبناني سعيد طه، وعازفة الإيقاع قمر عمري، والبروفيسور جوزيف الشمالي، والدكتور ماريو قرح.

وقبل أن نتحرك إلى مكتبة الإسكندرية التي شهدت وقائع الاحتفالية، طرحت على السيدة شاهينة فكرة ضرورة إعادة ترجمة قصائد جودت حيدر ليتمكن القارئ العربي من اكتشاف أهمية هذا الشاعر الكوني الذي يعتبره البعض شاعر الفصول الأربعة، ويلقبه البعض الآخر بـ«شكسبير العربي»، فتوافقني الرأي، وتعرض على الشاعر الدكتور حسن طلب أن يتولى هذه المهمة.

نصل إلى صرح الألفية الثالثة بمنطقة الشاطبي، ويسرعة تستقبل أسرة جودت حيدر ومعها دياب يونس، محافظ الإقاع السابق،

منذ أيام، دعاني الشاعر الكبير أحمد عبد المعطي حجازي، لأنضم إليه هو والشاعر الدكتور حسن طلب، في السفر إلى الإسكندرية لإحياء ذكرى الشاعر اللبناني جودت حيدر، التي تعاون في إقامتها مركز دراسات الإسكندرية وحضارة البحر المتوسط بمكتبة الإسكندرية مع جمعية أصدقاء جودت حيدر، فرحبت على الفور. في السيارة التي أقلت ثلاثتنا إلى الثغر دعوت حجازي لاستعادة ذكرياته مع جودت حيدر، الذي عاش مائة عام و عام، ورحل عن دنيانا قبل ثمانية أعوام. فقال إنه التقاه عام ١٩٩٥ ببيته في بعلبك، بمناسبة إزاحة الستار عن تمثال شاعر القطرين خليل مطران بعد ترميمه وإعادته إلى مكانه، إثر تفجيريه، في الساحة التي تحمل اسمه في بعلبك، وقد تمت دعوة حجازي باعتباره مؤلف كتاب عن مطران.

في ذلك الوقت كان جودت حيدر في التسعين؛ فهو من مواليد ١٩٠٥، وكان لا يزال يتمتع بذهن متقد وصحة جيدة تسمح له بالاهتمام بأكثر من خمسة آلاف ضيف أو يزيد دعاهم ليشهدوا تكريم مطران باعتباره من أبناء بعلبك البارزين على الساحة الشعرية العربية وليس اللبنانية فحسب، وأبرزهم: عبد الوهاب البياتي، وبلند الحيدري، ومحمد الفيتوري، والميداني بن صالح، وعلي عقلة عرسان.

بينما السيارة مسرعة تنهب الطريق الصحراوي بين القاهرة والإسكندرية، يتوقف حجازي فجأة عن الكلام، ثم يعود بنا إلى العام ١٩٩٥ ويقول: إن أكثر ما لفتني في شخصية جودت حيدر حالة الهدوء، والسلام مع النفس، والتواضع الجم، وهو ما انعكس جلياً على صفحة شعره؛ فكان

أهم ما يميز شخصية جودت حيدر، حالة الهدوء، والسلام مع النفس، والتواضع الجم، وهو ما انعكس على صفحة شعره، فكان شعره مثل حياته